

صورة تذكارية تعود لمرحلة من مراحل الثورة الفلسطينية، في عام 1948، التقطها ج. ع. كحلان.

ناصر قنديل

ناصر قنديل

حديث الجمعة هذا الأسبوع غنيّ بالمشاركات، من «قالت له»، إلى كلام لسيدّ المقاومة وسورية، وفيه أيضاً من الصباحات ما نهديه للشام والشهداء والمقاومين، واستذكّار لأوقات مع إمام الدين والدنيا في صورة، ومقتطفات من كتابي «6 شباط الثورة التي لم تنته»، نوره في هذا اليوم تحديداً، كعودةٍ إلى 6 شباط 1984 و6 شباط 2006، وما بين التاريخين من علاقة.

صورة تذكارية تعود لمرحلة من مراحل الثورة الفلسطينية، في عام 1948، التقطها ج. ع. كحلان.

صباحات

2015/1/30

قال الصباح عندما يتصل الأمر بالتعلّق بالليل، أرفض وصفه بالتفامة، لأنني متصل بالليل بداية ونهاية. وعندما يتصل بالنجوم، أرى الليل سيدها، ولا أتميّزها عنه لأنها تبهر.

2015/1/31

قال الصباح: في الطريق إلى الشهداء، لا نمرّ بالجرحى والأسرى والمقاومين، بل بالأحياء يمزون جميعا ويعبروننا حين نصل إليهم.

2015/2/1

قال الصباح: زاد كلام السيدّ فرح أيام وسنين... وزيت الكلام دعاء الشهداء... أفرحوا بأيام أجمل من أيامنا، تعلم أنه لن يكون في زمانهم سيدّ... قد يكون لزمانهم سيارات أشدّ فخامة وتقنيات أكثر رفاهيا وحياء أقلّ تعباً... لكن بلا السيدّ للفرح طعم اللحظة لا العمر، وللكرامة نكهة الفرد لا الجماعة والأامة... تزيّنا الصباحاته وصباحاكم فقد ميّزكم الله عمّن قبلكم ومن بعدكم، وزيّن أيامكم وصباحاكم بفرح وكرامة لا يزيلان مع الأيام ولا تاكلهما النيران.

2015/2/2

قال الصباح: اقتلوا منّا كل يوم زوّاراً منيين مسالمين أو مقاتلين مقاومين. فالدّم يستسقي في عروقنا المزيد ويجعل العزم من حديد، ويبدّد خوفنا من أن تضعف القضية برحيل جيلنا، لأنكم بالقتل تعذون لقتاكم الجيل الجديد، فقد صار بقاؤكم مستحيلاً، وأن أوان الرحيل... أنتم تواجّهون جيلاً ثاراً بعد جيل، ستترحمون على الأبناء لما يقاثلكم الأولا، فكيف عندما يأتي أوان القتال للأحفاد... سيكون فوق القضية ثار للثار فوق الثار أيها الأوغاد.

2015/2/3

قال الصباح: عندما يلتقي نهاركم ليليل الآخرين عند المفترق، يصير الصباح كما المساء فاتراً كالتلاقي في ردهات السفر في المطارات الفسيحة، أو تسليم نوبات الحراسة على محارس الجنود المتعبين.

2015/2/4

قال الصباح: الشام لما هدّما تيمور لك وهولاو وغورو وموشي دايان، ليست ثوب العرس ومواكب الشهداء ومضت إلى ربوة العزّ ومنحلف الكرامة تنتظر... فهل يظن سقط المتاع إن بضعة مشعوذين معه من الشيشان سيرعبون زهر الياسمين ويمنعونه من السوح بالعطر والتفتح بالبياض؟ الشام خلقت للحياة ولبيض التافهون إلى نفاثتهم لو كان لبها دعاء وخراب، والصواريخ والنيران لها أيدٍ لرجال في الحرب تعرفها وتذكرها ولو تملكها قطاع الطرق... يكون السوء من الزمان... يوم ويمضي قالت الشام... جهّز تعشك بالبارود.

2015/2/5

قال الصباح: الضجيج لا يصنع الفلسفة، والصراخ لا يغيّر وجهة الحق، والرعب لا يجلب التسليم، والقصف لا يغيّر المعادلات. في الميدان وحدها قلوب الرجال تحسم ما لا يحسم... انظروا إلى مزارع شبعاً لكن دعوا قلوبكم في الشام هذا الصباح، فهي من سيعلم المنتصليين درساً.

البناء

البناء

حديث الجمعة

سنة 1984 - 6 شباط



فرح

لم نتعودُ أن نجني كلّ هذا الكم الهائل من الفرح. لم نجرّبه بهذه الجرعات الفائضة، ولم يبرئنا على جرس حروفه أحد، ولم يهدنا إلى مسعاد الجميل نظام أو زعيم أو ملك تامّ الخلقة والطويّة.

لا نكاد نقرب من بعضه، على ندرته في دنيا العرب، إلا بيد الحذر والتحوط والتوجّس، لأنّ كل شيء فيه كان ينطوي على خطر الردة عن الطبيعة التي جبلنا فيها سنين طويلة، أو نزعة التحول إلى بشر محفوفي الكرامة والكينونة. ساداتنا وكبرأؤنا استخلصوه لهم، أما نحن فلما اليأس والهوان وحرية الموت ساماً أو انتحاراً أو على المشائخ والمقاصل وساحات الرجم وميادين الحروب الأهلية والطائفية المقدّسة!

أبعد من كل سباق، أشعل فينا السيدّ فرحاً مهولاً. نسّف قوالب الأسي القديمة المتكلّسة داخل إحاسيسنا. أعاد إلى فطرتنا براءتها الأولية وماءها العذب. فتح أبواباً موصدة تقف وراءها سيول من الوجد المعتق تريّد أن تلفظ أنفاسها الأخيرة خارجنا. ألهب فينا ذهولاً غير مالوف، ونشوة تحلم بعضا موسى تشقّ البحر للمقاومين ليعبروا إلى فلسطين فتأخذ المكان الذي تستحق من دماننا.

خرس لساني انشداهما وأنا أرى «قواعد الاشتباك، تنكسر أمامي كلوح زجاج. ورجوت أن أسير عليها وأدوسها بقدمي لأتلقي القدس بكل جوارحي مع مطلع شمس قريب. رجوت اليوم الذي أقطع فيه الأسلاك المتوحشة، وأندفع في نهر من الأشواق إلى التراب الذي عدته السماء بالشهادة. رجوت أن بحجزني الزمن لأشهد تهاطل المطر فوق يافا وحيفا وعكا وسائر الجيهاد التي رُفعت على سارياتها أعلام النصر.

يا سيد جعلت قلوبنا ماهولة بالفرح، وأيقظتنا إلى الحياة. تلك الساعة التي تكلمت، قهرت فيها منيتنا، ودفعتنا لنصر من قمة راتانا (ليك يا نصر الله). «ستفعلها وتدخل الجليل وما بعده». قلتها مراراً، ولكنك اليوم لا تطّل من فك صرخة مدوية، إنما تصفك بكل أوثان العرب وأصنامهم، وزيّف المتخاذلين من سياسيين ومثقفين وثرثارين ورماديين كان سعهم المنهك منذ اغتصاب فلسطين حتى الساعة يقتصر على هموم يومية تافهة وتتظلمرات عديمة اللون والجدوى، وجحافل من الجيوش الوهمية، وجراد من الشعارات الكاذبة كانت تغطي مأسيتنا ومباكيننا.

يا سيد، جعلت بيننا وبينك علاقة عشق وتدله لا تنتهي. صرنا قادرين معك على الفرح والابتهاج والمضي خارج حدود الحلم. أصبحت كلماتك المستقبل وصوت التاريخ. وصوت الذين لا صوت لهم.

ضع قدمك يا سيدي، على أرض فلسطين. اضرب باب السجن، لنخرج إلى نور النصر والحياة والفرح الأبدى!

الدكتور صادق النابلسي

للشام كلمات

من تحرّش بمخالب دمشيق
أصابه الطاعون ومات كعدا...
انتظروا عصاف الصواريخ.
تنزّف الشام لكنها تعرف
كيف تضفّ جراحاتها...
وتقفّل شبابيكها للريح
والأسود... فالأسود تحمي
العرين.

يا شام كم من رعد وبرق
ومطر كان أشد قسوة من
أصوات قذائفهم وبريقها
وسقوطها!

صباح الخير يا شام...
يبقى الياسمين أبيض على
رغم سواد قذائفهم
وسواد قلوبهم.

دمشق لا تنحني... يشيخ
الزمن وهي واقفة.



في ذكرى الثورة (للإيرانية)

تحيّة لإسام الثورة ...

قبل 35 سنة، في حضرة

إسام للدين والدنيا وللتاريخ

والجغرافيا ولالثورة وللقراء

والهستضعفين... وفلسطين...

رحمةً لله.

6 شباط 1984 – 6 شباط 2006

عينيهِ، وأخذ يتوجّه للضباط والمسؤولين العسكريين الذين شاركوه الإجماع فيقول: «إن بيروت تاج النضال الوطني، أما أمنيا فهي قيمص وسخ، وتذكروا في بيروت سقط ياسر عرفات، وكان بعض الشباب يسأل الجنود: هل تريدون الاضمام للانتفاضة؟»...

وهما هي العاشرة والنصف، أمسك المدافعون عن العاصمة مداخلها، ودوى انفجار ذئيفة، وتناثت أصوات الانفجارات وكانت تسمع القذائف المتبادلة وصداهما... وتقال فيما بعد البداية وقاذف السار في جي»، وكان الماضي يقبل المستقبل، والقصف مشتعل بينهما...

وفي الحادية عشرة، كان حوالي عشرين مقاتلاً يشكلون القوة التي أنيطت بها مهمة الدفاع عن مدخل بيروت الرئيس من جهة بوابة المتحف، قد أخذوا مواقعهم على أطراف مستشفى البربير، عندما أصاب رتل عسكري يتقدم باتجاه أوتستراد المزرعة اعبرا

جنس فؤاد الأول... وتلقفها المقاتلون بقذائفهم، وكانوا معظمهم من مراقبي رئيس حركة أمل والناخب زاهر الخطيب كما يقول «تقو» وهو أحد مراقبي بري الذي شارك في أكثر من معركة على محاور الشياح. ويضيف زيملاد «أبو خشبة» و«زيثوني»، إن «أبا محمود» (أحد مقاتلي رابطة الشغيلة) أظهر بسالة نادرة في معركة المواجهة مع الدبابات التي دارت حوالى الثانية والنصف ظهراً، إذ تقاسم هو وشباب الحركة وجبة الدبابات التي التهمتها النيران، وكانت الحصيلة تدمير ناقلة جند، وخرّرت طريق المطار الدولي ومستديرة شانيلاد، وعاد الشريان الذي يربط الضاحية بالعاصمة حرّاً من أيّ اختناقات أو معاصم.

وفي الساعة السادسة، كان ضباط قوى الأمن الداخلي مجتمعين في منزل المحامي بري وفي مقدمهم العقيد عصام أبو زكي، والمقدم عدنان غطمة، والرائد علي مكى والرائد فايز رحال، والرائد علي جسون، وكان البحث جارياً في كيفية تسليم قوى الأمن، مسؤولية أمن العاصمة.

وقيل جوي، وهو أحد مراقبي رئيس حركة أمل، وقد استشهد بعد أشهر. إن المعركة الضارية استمرت أقل من ست ساعات «كما خلالها وحدها أقل من عشرين قتالاً، وكادت تنفد ذخيرتنا لولا ملاقاتنا بخمسة آخرين من الشباب جاؤونا مرؤدين بالذخائر على أنواعها.»

ويؤكد الجميع أن معركة بوابة المتحف حسمت في الثالثة ظهراً، فيما غرقت المدينة بدماء انفجائها من جزاء القصف الوحشي بعدما كان الطوفان المسلح قد غطى شوارعها بمرزج من الشعب والجنود. وتكسرت ثلاث محاولات اقتحام على المداخل، وتيجرت دعوة حطر التجول التي أعلنتها قيادة الجيش بدءاً من الواحدة ظهراً، وخرّرت طريق المطار الدولي ومستديرة شانيلاد، وعاد الشريان الذي يربط الضاحية بالعاصمة حرّاً من أيّ اختناقات أو معاصم.

وفي الساعة السادسة، كان ضباط قوى الأمن الداخلي مجتمعين في منزل المحامي بري وفي مقدمهم العقيد عصام أبو زكي، والمقدم عدنان غطمة، والرائد علي مكى والرائد فايز رحال، والرائد علي جسون، وكان البحث جارياً في كيفية تسليم قوى الأمن، مسؤولية أمن العاصمة.

وكانت تدنو تلك اللحظة التي يمتزج فيها الشارع

بالكتكات؛ حتى تبدأ قوة مقدّسة كبحار الأرواح صاعدة من امتزاج هذين التيارين، وتكس البناء القديم أوّلا ثم

جدرانه، إلا أنّ قواعد كانت لا تزال باقية حتى المساء...

وكان الجنود الهاربون يسألون: ماذا ينبغي أن نفعل؟ وكان الشباب يقودونهم بروتين رتيب إلى كتحة هنري شهاب ويجرّذونهم من سلاحهم وعنادهم إذا قرّروا الذهاب إلى بيوتهم، وكان بعض الشباب يسأل الجنود: هل تريدون الاضمام للانتفاضة؟»...

ويخاطب أحد الحاضرين قائلاً: «أخشى ما أخشاه أن تقع في الخطا المميت، فكل شيء يمكن إصلاحه، إلا السقوط في فخّ الإساءة للناس، مهمّ جداً أن نعمل شيئاً»...

ويقرّر إصدار تعميم مذيّل بتوقيعه يوزّع على المقاتلين في هذا المساء ويجيء فيه:
-التهنئة الشديّد إلى خطورة الممارسات الطائفية.
-احترام المواطنين ومعتقداتهم الدينية.
-وضع السلاح في تصرّف الشعب.

التصدي لكل اعتداء على منازل المواطنين.
-الحذر من العملاء والماجورين.
-التصرّف بأخلاق وإنسانية مع الناس.
-إن الأخطار إن حفظناه، وبقرّر الدعوة إلى اجتماع سياسي في أول الليل لتحسين الانتفاضة، ويتقرّر دعوة عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني كريم مروّة وأمين عام الرابطة الشغيلة النائب زاهر الخطيب، وعضو تجعّم العلماء المسلمین الشيخ ماهر حمود، وعضو تجعّم اللجان والروابط الشعبية معن بشور، ومندوب رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي فؤاد صعب. ويقدّم الاجتماع في السابعة، ويتحدّث بري في المجتمعين بلغة القابض على الجمر. ويقول:

«ما أعظم انتصارنا إن حفظناه، وما أقطع هزيمتنا إذا وقعت لا سمح لنا، لم يعد هناك ما يهزّئنا، إلا سوء التدبير، المهم أن نصون انتصارنا».

ويتابع: «أما عن الجانب السياسي، فالواضح أنه لم يعد من قاسم مشترك بيننا وبين الحكم، ولم أعد أرى من إمكانية لحل سياسي بغير استقالة رئيس الجمهورية».
ويضيف: «إن الاجتماع يجب أن يكون يومياً ويأخذ مهماته في القضايا السياسية والاجتماعية والأمنية».
وبعد حوالي نصف ساعة، ورداً على أحد السائلين يقول: «إن أخطر ما نواجهه اليوم كيفية جمية المسيحيين ومنع أيّ تعديبات على أمنهم، خصوصاً أنني سمعت بتفجير عبوة في كنيسة المزرعة، وهذه حادثة بشعة وخطرة لئن أسمح بتكرارها، وليعلم الجميع أنه سيكون لنا موقف سياسي وعملي تجاه كل من تتكشّف علاقته بهذه الأعمال، وإن الحركة المؤمّنة بالديمقراطية في ما بين سائر أطراف العمل الوطني، لن تتورّع عن التعامل بحزم مع كل من يبعث بأمن بيروت الوطنية، التي أصبحت صمّام أمان المعركة الوطنية كلها.»

7 شباط

كانت هذه الفوضى الجماهيرية التي أسماها البعض، وقضى احتلالات البيوت، أنشبه بجمهرة لزجة، وكانت توحى لأنه يكفي أن يسئل أحد سيّفه ويتقدّم، وحتى يتفرق هذا الجمع، إلا أنّ هذه الجموع التي لم تكن قد انتظمت حول أهداف وبرامج واضحة ومحددة، كانت

البناء



صورة تذكارية تعود لمرحلة من مراحل الثورة الفلسطينية، في عام 1948، التقطها ج. ع. كحلان.